مكتوب عندهم في التورية والانجيل وهم يعرفونه كما يعرفون ابناءهم فاراد ان يوكد عليهم بصحة القران وصحة نبوة محمد
عليه السلام ويبالغ في ذلك فقال وان وقع لكم شك فرضا وتقديرا فسبيل من خالجته شبهة في الدين ان يسارع الى
حلها واماطتها اما بالرجوع الى قوانين الدين وادلته واما بمباحثة العلماء المنبهين في الحق فسل علماء اهل الكتاب يعني
انهم من الاحاطة بصحة ما انزل اليك وتحققها على حيث يصلحون لمواجهة مثلك ومسالتهم فضلا عن غيرك فالغرض وصف
الاحبار بالرسوخ في العلم بصحة ما انزل الى رسول الله لا وصف رسول الله بالشك فيه ثم قال لقد جاءك الحق من ربك
اي ثبت عندك بالايات والبراهين القاطعة ان ما اتاك هو الحق الذي لا مدخل فيه للمرية فلا تكونن من الممترين ولا
تكونن من الذين كذبوا بايات الله اي فاثبت ودم على ما انت عليه من انتفاء المرية عنك والتكذيب بايات الله
ويجوز ان يكون على طريقة التهييج والالهاب كقوله فلا تكونن ظهيرا للكافرين ولا يصدنك عن ايات الله بعد اذ انزلت
اليك ولزيادة التثبيت والعصمة ولذلك قال عليه السلام عند نزوله لا اشك ولا اسال بل اشهد انه الحق وعن
ابن عباس لا والله ما شك طرفة عين ولا سال احدا منهم وقيل خوطب رسول الله صلى الله عليه وسلم والمراد خطاب امته
ومعناه فان كنتم في شك مما انزلنا اليكم كقوله وانزلنا اليكم نورا مبينا وقيل الخطاب للسامع ممن يجوز عليه الشك
كقول العرب اذا عز اخوك فهن وقيل ان للنفي اي ما كنت في شك فسال يعني لا نامرك بالسوال لانك شاك ولكن
لتزداد يقينا كما ازداد ابرهيم بمعاينة احياء الموتى وقرئ فسل الذين يقرؤون الكتب ان الذين حقت عليهم كلمة
ربك ثبت عليهم قول الله الذي كتبه في اللوح واخبر به الملئكة انهم يموتون كفارا فلا يكون غيره وتلك كتابة معلوم لا كتابة
مقدر ومراد تعالى الله عن ذلك فلولا كانت قرية فهلا كانت قرية من القرى التي اهلكناها تابت عن الكفر
واخلصت الايمان قبل المعاينة ووقت بقاء التكليف ولم تؤخره كما اخر فرعون الى ان اخذه الغرق فنفعها ايمانها
بان يقبله الله منها لوقوعه في وقت الاختيار وقرأ ابي وعبد الله فهلا كانت الا قوم يونس استثناء من القرى
لان المراد اهاليها وهو استثناء منقطع بمعنى لكن قوم يونس لما امنوا ويجوز ان يكون متصلا والجملة في معنى
النفي كانه قيل ما امنت قرية من القرى الهالكة الا قوم يونس وانتصابه على اصل الاستثناء وقرئ بالرفع على البدل روي عن
الجرمي والكسائي وروي ان يونس عليه السلام بعث الى نينوى من ارض الموصل فكذبوه فذهب عنهم مغاضبا فلما
فقدوه خافوا نزول العذاب فلبسوا المسوح وعجوا اربعين ليلة وقيل قال لهم يونس ان اجلكم اربعون ليلة
فقالوا ان راينا اسباب الهلاك امنا بك فلما مضت خمس وثلثون اغامت السماء غيما اسود هائلا يدخن
دخانا شديدا ثم يهبط حتى يغشى مدينتهم ويسود سطوحهم فلبسوا المسوح وبرزوا الى الصعيد بانفسهم
ونسائهم وصبيانهم ودوابهم وفرقوا بين النساء والصبيان وبين الدواب واولادها فحن بعضها الى بعض وعلت
الاصوات والعجيج واظهروا الايمان والتوبة وتضرعوا فرحمهم وكشف عنهم وكان يوم عاشورا يوم الجمعة وبلغ من
توبتهم ان ردوا المظالم حتى ان الرجل كان يقتلع الحجر وقد وضع عليه اساس بنائه فيرده وقيل خرجوا الى شيخ
من بقية علمائهم فقالوا قد نزل بنا العذاب فما ترى فقال لهم قولوا يا حي حين لا حي ويا حي محيي الموتى ويا حي لا اله
الا انت فقالوها فكشف عنهم وعن الفضيل بن عياض قالوا اللهم ان ذنوبنا قد عظمت وجلت وانت اعظم منها
واجل افعل بنا ما انت اهله ولا تفعل بنا ما نحن اهله ولو شاء ربك مشية القسر والالجاء لامن من في الارض
كلهم على وجه الاحاطة والشمول جميعا مجتمعين على الايمان مطبقين عليه لا يختلفون فيه افانت تكره
الناس يعني انما يقدر على اكراههم واضطرارهم الى الايمان هو لا انت وايلاء الاسم حرف الاستفهام للاعلام
بان الاكراه ممكن مقدور عليه انما الشان في المكره من هو وما هو الا هو وحده لا يشارك فيه لانه هو القادر على ان
يفعل في قلوبهم ما يضطرون عنده الى الايمان وذلك غير مستطاع للبشر وما كان لنفس يعني من النفوس التي علم

انها

الرجز بالزاي [illegible]

انها تؤمن الا باذن الله اي بتسهيله وهو منح الالطاف ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون قابل الاذن
بالرجس وهو الخذلان والنقص العام ايمانها بالذين لا يعقلون وهم المصرون على الكفر كقوله صم بكم عمي فهم لا يعقلون
وسمي الخذلان رجسا وهو العذاب لانه سببه وقرئ ونجعل بالنون قل انظروا ماذا في السموات والارض من الايات والعبر
وما تغني الايات والنذر والرسل المنذرون او الانذارات عن قوم لا يؤمنون لا يتوقع ايمانهم وهم الذين لا يعقلون وقرئ وما يغني
بالياء وما نافية او استفهامية ايام الذين خلوا من قبلهم ووقايع الله فيهم كما يقال ايام العرب لوقايعها ثم ننجي رسلنا معطوف
على كلام محذوف يدل عليه قوله الا مثل ايام الذين خلوا من قبلهم كانه قيل نهلك الامم ثم ننجي رسلنا على حكاية الاحوال الماضية والذين
امنوا ومن امن معهم كذلك حقا علينا ننج المؤمنين مثل ذلك الانجاء ننجي المؤمنين منكم ونهلك المشركين وحقا علينا اعتراض يعني حق ذلك
علينا حقا وقرئ ننجي بالتشديد قل يا ايها الناس يا اهل مكة ان كنتم في شك من ديني وصحته وسداده فهذا ديني فاسمعوا
وصفه واعرضوه على عقولكم وانظروا فيه بعين الانصاف لتعلموا انه دين لا مدخل فيه للشك وهو اني لا اعبد الحجارة
التي تعبدونها من دون من هو الهكم وخالقكم ولكن اعبد الله الذي يتوفاكم وانما وصفه بالتوفي ليريهم انه الحقيق بان يخاف
ويتقى فيعبد دون ما لا يقدر على شيء وامرت ان اكون من المؤمنين يعني ان الله امرني بذلك بما ركب في من العقل وبما اوحى
في كتابه وقيل معناه ان كنتم في شك من ديني وما انا عليه اثبت عليه ام اتركه واوافقكم فلا تحدثوا انفسكم بالمحال
ولا تشكوا في امري واقطعوا عني اطماعكم واعلموا اني لا اعبد الذين تعبدون من دون الله ولا اختار الضلالة على الهدى
كقوله قل يا ايها الكفرون لا اعبد ما تعبدون وامرت ان اكون اصله بان اكون فحذف الجار وهذا الحذف يحتمل ان يكون
من الحذف المطرد الذي هو حذف الحروف الجارة مع ان وان وان يكون من الحذف غير المطرد وهو قوله امرتك
الخير فاصدع بما تؤمر فان قلت عطف قوله وان اقم على ان اكون فيه اشكال لان ان لا يخلو من ان يكون التي للعبارة
او التي تكون مع الفعل في تاويل المصدر فلا يصح ان تكون للعبارة وان كان الامر مما يتضمن معنى القول لان عطفها على الموصولة
يابى ذلك والقول بكونها موصولة مثل الاولى لا يساعد عليه لفظ الامر وهو اقم لان الصلة حقها ان تكون جملة تحتمل
الصدق والكذب قلت قد سوغ سيبويه ان توصل ان بالامر والنهي وشبه ذلك بقولهم انت الذي تفعل على الخطاب
لان الغرض وصلها بما تكون معه في معنى المصدر والامر والنهي دالان على المصدر دلالة غيرهما من الافعال اقم وجهك
استقم اليه ولا تلتفت يمينا ولا شمالا حنيفا حال من الدين او من الوجه فان فعلت معناه فاذا دعوت من
دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك فكنى عنه بالفعل ايجازا فانك اذا من الظالمين اذا جزاء للشرط وجواب لسؤال
مقدر كان سائلا سال عن تبعة عبادة الاوثان وجعل من الظالمين لانه لا ظلم اعظم من الشرك ان الشرك لظلم
عظيم من الشرك ان الشرك لظلم عظيم اتبع النهي عن عبادة الاوثان ووصفها بانها لا تنفع ولا تضر ان الله عز وجل هو الضار
النافع الذي ان اصابك بضر لم يقدر على كشفه الا هو وحده دون كل احد فكيف بالجماد الذي لا شعور به وكذلك ان ارادك
بخير لم يرد احد ما يريده بك من فضله واحسانه فكيف بالاوثان فهو الحقيق اذن بان توجه اليه العبادة دونها وهو
ابلغ من قوله ان ارادني الله بضر هل هن كاشفات ضره او ارادني برحمة هل هن ممسكات رحمته فان قلت
لم ذكر المس في احدهما والارادة في الثاني قلت كانه اراد ان يذكر الامرين جميعا الارادة والاصابة في كل
واحد من الضر والخير وانه لا راد لما يريد منهما ولا مزيل لما يصيب به منهما فاوجز الكلام بان ذكر المس وهو
الاصابة في احدهما والارادة في الاخر ليدل بما ذكر على ما ترك على انه قد ذكر الاصابة بالخير في قوله يصيب به من يشاء
من عباده والمراد بالمشية مشية المصلحة قد جاءكم الحق فلم يبق لكم عذر ولا على الله حجة فمن اختار الهدى
واتباع الحق فما نفع باختياره الا نفسه ومن اثر الضلال فما ضر الا نفسه واللام وعلى دلا على معنى النفع والضر
وكل اليهم الامر بعد ابانة الحق وازاحة العلل وفيه حث على ايثار الهدى واطراح الضلال مع ذلك وما انا

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)